حُوْشيّ الكلام

ـ في ميدان النقد اللغويّ والأدبيّ ـ

رفاه عزيز عكال مخيف العارضي
المديرية العامة للتربية في محافظة القادسية

الملخص:

حاول هذا البحثُ أنْ يقفَ على هذا المصطلح – حُوْشي الكلام – الذي طالما اختلط والتبس بغيره من مصطلحات الغريب الأخرى – وهو منها – وكثيراً ما فسر اللغويون والبلاغيون والنقاد (الوحشي) به، فتارةً هو (الوحشي) ،وتارةً هو الغريب المشكل من الكلام ، أو أنه المعقد النافر الذي يجانب الفصاحة ، والمراد بالفصيح هو اللفظ الذي يُكتب له أن يشيع على الألسن ، وقد يقع (الحُوْشي) على (الشاذ) أو (النادر) أو(القليل).

ووقف البحث على (الحُوْشي) عند اللغويين والبلاغيين والنقاد ، وأكثر ما وقف عند قول البلاغيين والنقاد، واستجلى أمره ،إذ إنهم الأولى بالحديث عنه من اللغويين الذين كان من وكدهم تقصيه وطلبه ،بعدِّهِ ثروةً لغويةً تعينهم في تفسير ما يشتبه من كلام العرب ، وربما طلبوه وأكثروا من رصده اظهاراً للتقدمة في معرفته.

أولاً : الحُوشيّ في اللغة والاصطلاح

أ– الحُوشيّ لغـــةً

للغويين في معنى الحُوشيّ مذهبان :

أحدهما : أن الحُوشيّ مقلوب الوحشي ، والوحشي في اللغة هو ((كل شيء من دواب البَرّ مما لا يَستأنِس))[1] وهو مذهب ابن فارس في أحد قوليه ، قال : ((وأظنُّ أن هذا من المقلوب، مثل جذب وجبذ)) [2]. وقد ألّف العلماء في هذا النوع من الألفاظ المقلوبة ، وعدوا هذا اللفظ منها كقولهم : صاعقة وصاقعة ، وعميق ومعيق ، وأسيرٌ مُكلّب ومُكبَّل [3] .

والآخر : أن الحُوشيّ كلُّ ما يُنسب إلى بلاد الجنّ التي لا يمرُّ بها إنسي[4]. وقيل : إن الحُوش هم حيٌّ من الجنّ [5] ، وقال رؤبة بن العجاج [6] :

جرّتْ رَحَنا من بلادِ الحُوْشِ وغيرنا من غائرٍ وبيشي

وقيل : إن الحوشية إبل الجنّ ، أو الإبل الوحشية أو المتوحشة [7]. وقيل فحول نَعَم جنٍّ تزعم العرب أنها ضربت في نَعَم بعضهم ، فنُسبت إليها [8]، ولذا يقال في الرجل الذكي الكيّسِ – مجازاً – إنه حُوْشي الفؤاد ، أو حُوْش الفؤاد ، وتوسعوا في هذا المعنى ، فقالوا : ليلٌ حُوْشي: مظلمٌ هائل [9] ؛لأنه غير منكشف ويخبّأ تحت جنباته المخاطر والأهوال .

وقالوا : رجلٌ حُوْشي : لا يُخالط الناس ولا يكاد يألفُهم[10]، وهذه المعاني جميعاً لا تتقاطع مع قول ابن فارس : ((وأصل هذه الكلمة – إن صحت – فمن التجمع والجمع ، يقال : حُشتُ الصيد وأحشيتُه ، إذا أخذته من حواله وجمعتَه لتصرفَه إلى الحبالة ، واحتوش القومُ فلاناً جعلوه وسطَهم)) [11]. إذ إن معنى التجمع والجمع آتٍ من التحويش ، وهو التنفير ، قال ابن منظور : ((يُقال حُشتُ عليه الصيد وأحَشْتُه ، إذا نفّرتَه نحوه وسُقته إليه وجمعته عليه)) [12].

ومن هنا يتضح أن هذه المعاني جميعاً يجمعها معنى عدم الانكشاف والإلفة ، ومعنى النفور وعدم الحضور .

ب ــ الحُوْشيّ اصطلاحاً :

إرتبط الحديث عن (الحُوْشيّ) بالحديث عن (الغريب) وما يشتمل عليه من مصطلحات وأكثر ما ارتبط بالحديث عن(الوحشي) الذي هو أحد مصطلحات (الغريب) ، وكثيراً ما فسّر اللغويون والبلاغيون والنقاد (الحُوْشيّ) بــ (الوحشي) ، وهم بصدد توضيح قول عمر بن الخطاب في الرواية التي تقول : إنه ((قال لابن العباس : أنشدنا لشاعر الشعراء قال : ومن هو؟ قال : الذي لا يُعاضل بين القول ، ولا يتتبَّع حُوْشيّ الكلام قال ومن هو ؟ قال : زهير))[13]، فــ (الحُوْشيّ) هو (الوحشي) [14]، أو هو الوحشي الغريب المشكل من الكلام[15]، أو أنه المعقد النافر[16] ، الذي يجانب الفصاحة ، والمراد باللفظ الفصيح هو الواسع الانتشار الغالب في الاستعمال ، وهو المقياس الذي بنوا عليه قولهم : ((قريش أفصح العرب ، لأن للغتها الانتشار والسيادة على سائر لغات القبائل الأخرى)) [17].

وقد يقع (الحُوْشيّ) – أيضاً – على معنى (الشاذ) أو (الشارد) اللذين هما اصطلاحان يقعان على اللفظ القليل غير الشائع في الاستعمال [18]، الذي يجانب اللفظ الفصيح ، وهو ما يوضحه قدامة بن جعفر في باب عيوب اللفظ بقوله : هو ((أن يرتكب الشاعر فيه ما ليس يُستعمل أو لا يُتكلم به إلا شاذاً وذلك هو (الحُوْشيّ) الذي مدح عمر بن الخطاب زهيراً بمجانبته له وتنكبه إياه ، فقال : ((كان لا يتتبع حُوْشيّ الكلام)))) [19] ، و(حُوْشيّ) الكلام عند الآمدي ((هو اللفظ الغريب الذي لا يتكرر في كلام العرب كثيراً ، فإذا ورد ورد مستهجناً))[20].

إن مصطلح (الغريب) مصطلحٌ عام يشتمل على عدد من المصطلحات ويصح عليها ، فقد يقع على (الحُوْشيّ) وعلى (الوحشي) ، وقد يقع على (النادر) و(الشارد) و(الشاذ) و(الغامض) ، فكلٌ من (الحُوْشيّ) و (الوحشي) و (النادر) ونحوها يصحُّ أن يطلق عليها مصطلح (الغريب) [21]، ولا يصح العكس ، فلا يقال : كلُّ (غريب) هو (حُوْشيّ) أو (وحشي) أو (نادر) أو نحوها ، وإنما هو معنى عام يُقال لكل ما غرُب وبعُد عن الفهم ،

ويقال لكل غامضٍ خفيٍّ أو لطيفٍ غريبٌ [22] ، أما هذه المعاني فخاصة فيه ، قد يصدق بعضها على بعض أحياناً .

وأكثر ما يشتبه (الحُوْشيّ) بـــ (الوحشي) إلى الحد الذي دعا بعض اللغويين إلى أن يجعلوا (الحُوْشيّ) مقلوب (الوحشي) – كما مرّ – وهو ما يعني أن اللفظ واحد والمعنى واحد أيضاً تبعاً لذلك ، غير أننا لا نؤيد ذلك فـــ (الحُوْشيّ) هو اللفظ النافر القصي غير المألوف الذي غاب عن الاستعمال المستغلق على الأفهام [23]، أما (الوحشي) فقد يكون بهذا المعنى ، وقد يكون اللفظ مأنوساً رائقاً في موضع ، ويكون في موضع آخر لفظاً موحشاً غير مأنوس ، وهذا ما نتلمسه من قول الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، يقول : ((... ومما يشهد لذلك أنك ترى كلمة تروقك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر)) [24] ومثّل لها بلفظ (الأخدع) في قول الشاعر[25] :

تَلَفَّتُّ نحو الحيِّ حتى وَجَدْتُني وَجِعْتُ من الإصغاءِ لِيتاً وأخْدعـــا

وفي بيت البحتري [26] :

وإني وإن بلَّغتني شرفَ الغنى وأعتقتَ من رِقِّ المطامعِ أخدعـــي

فقد استحسن الجرجاني هذه الكلمة في تينك الموضعين ، واستوحشها في قول أبي تمـــام[27] :

يا دهرُ قوِّمْ من أَخْدَعَيكَ فقـد أضججتَ هذا الأنـامَ من خُرُقِـــكْ

فهي ثقيلة على النفس ، ولها من التنغيص والتكدير أضعاف ما نجد لها هناك في البيتين المتقدمين من الروح والخفة والإيناس[28] .

ونخلص من هذا أن اللفظ (الحُوْشيّ) لفظ نافر غير مأنوس أبداً ، أما (الوحشي) فقد يكون كذلك ، وقد يحسن في موضع وسياق معين ، وقد يقبح في موضع وسياق آخر ، ومن هنا كان التداخل والتقارب بينهما ، مثلما قد تداخلا وتقاربا مع ألفاظ الغريب الأخرى ، وهو الأمر الذي دعا السيوطي إلى أن يجعل ألفاظ الغريب في باب واحد ، هو (معرفة الحُوْشيّ والغرائب والشواذ ، والنوادر) ، وقال عنها : ((هذه الألفاظ متقاربة وكلها خلاف الفصيح))[29] وحاول جاهداً أن يفصل بين مدلولاتها إلا أنه فسّر بعضها ببعض ، فقال عن حُوْشيّ الكلام : إنه وحشيُّه وغريبُهُ ، وقال عن الغرائب : إنها غريبة وهي بمعنى الحُوْشيّ ، والشوارد جمع شاردة وهي بمعنى الغرائب ، ومن قبله ذكر أبو الوفاء الهويني أن ((الشوارد : هي اللغات الحُوْشية الغريبة الشاذة)) [30]، وقال عن النادر إنه الساقط الشاذ وهو في كل ذلك يتكئ على ما ذكره المعجميون[31] ، وكأنه يدور في حلقة مفرغة إلى الحد الذي جعله يلزم ما يشبه الدور عند المناطقة .

ولما كان (الحُوْشيّ) من ألفاظ (الغريب) التي تقف بإزاء الفصيح ؛ صار علينا لزاماً أن نتطلع ونركن إلى قول البلاغيين والنقاد ، لنستجلي أمره ، فهم الأَولى بالحديث عنه من اللغويين الذين كان من وكدهم تقصيه وطلبه ، وليس ذلك قبل أن نعرف الفرق بين (الفصيح) ونظيره (الغريب الحُوْشيّ).

ثانياً : الفصيح والغريب الحُوْشيّ:

تقوم الغرابة على الغموض المؤدي إلى استغلاق الفهم أحياناً ، وهي بهذا المعنى وصف معيب يتجنبه التعبير الأدبي الفصيح ، والمتأمل في طبيعتها يستطيع أن يضع يده على أن الغرابة تخل بالفصاحة من حيث الاستعمال ((لأن الغريب جزء من ثروة اللغة ، لا موضع للخلاف في كونه من أسلم كلام العرب ، وأبعده عن آثار اللحن أو العجمة ، فإنه قد ورد في القرآن الكريم ، وورد في الحديث وفي كلام العرب شعرهم ونثرهم ، وثبت أنه ألفاظ لا تقل فصاحة عن غيرها من الألفاظ الأخرى الفصيحة ... وأن مـــا وصف بقليل الاستعمال إنما هو كذلك بالإضافة إلى زمان معين ومكان معين)) [32]، بل نال عناية العلماء فألّفوا فيه كـ (كتب غريب القرآن) و (كتب غريب الحديث) ، ثم إن العلماء الأوائل اتخذوه سمة بارزة في أحاديثهم بين الناس ، فقد كان المفضل الضبّي لا يختار من الشعر إلا ما يقلّ تداول الرواة له، ويكثر فيه الغريب[33] ، ويشير الجاحظ إلى أنه كان مدوناً في الكتب ، يتذاكرونه في المجالس[33] .

ومن أسباب الحفاوة بالغريب أن العلماء جعلوه ثروة لغوية تعينهم على تفسير ما يشتبه من الكلام على غيرهم ، وفي هذا إظهار للتقدم في معرفته [34] ، والغرابةُ – بعدُ – ليست صفة ذاتية فيه ، بل هي نسبية ، تتأثر بأمرين ظاهرين :

الأول : الزمان ، فما صار غريباً في زمن ، ربما كان مألوفاً مأنوساً قبل ذلك ، حين كان له ناسٌ يعرفونه – كما يقول ابن فارس – وكذلك يعلمون معنى ما يُستغرب فقد ذهب كله بذهاب أهله[35] ، ومن هنا عابوا على أبي تمام تكلّفه اللفظ غير المستعمل المجفو الذي عافه أهل زمانه[36].

الثـــــاني : المكان (البيئة) ، فهناك بيئات تشيع فيها الألفاظ الغريبة ، كبيئة الأعراب البداة المتوحشين ، فالغريب بالنسبة إلى هؤلاء فصيح ؛ لأنه مستعمل متداول واضح عندهم ، قال الجاحظ : ((لأن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس)) [37] ، ويقول أيضاً : ((إنما يكثر وحشي الغريب في كلام الأوحاش من الناس ، والأجلاف من جفاة العرب الذين يذهبون مذاهب العنجهية)) [38] ، وعندما أخذ الآمدي على أبي تمام كثرة الوحشي في شعره ، قال : ((هذا يُستهجن من الأعرابي القحّ الذي لا يتعمّل له ، ولا يطلبه ، وإنما يأتي به على عادته وطبعه))[39] وأشار إلى بيئة تستذوق الوحشي فتأتي به على ما هو مألوف فيها ، لذلك كان ((أكثر ما ترى هذه الألفاظ الوحشية في أراجيز الأعراب)) [40] .

فالغريب – طبقاً لمبدأ النسبية – غير معيب وهو جائز للقدماء ؛ لأن من كان يأتي به منهم لم يكن يستعمله إلا ((لعادته وعلى سجية لفظه)) [41] ، أو أنه لغة قوم كانت به مفاوضاتهم في أحاديثهم وأشعارهم ، وأن النبي (ص) نطق به في كلامه كثيراً ، وكان الغريب ديدن جماعة من الناس تعمّدوه واصطنعوه فتصدى لهم علماء البيان بالرد والعزو إلى الجهل ، قال الجاحظ : ((فإن كانوا إنما رووا هذا الكلام [الغريب] لأنه يدل على فصاحة ، فقد باعده الله من صفة البلاغة و الفصاحة)) [42] ، ورُدّ أبو تمام في تعمده الغريب في شعره ((ليدل على علمه باللغة وبكلام العرب)) [43] إلى الحد الذي دفع أبا القاسم الآمدي إلى الظن أن أبا تمام إنما تعمد ذلك وأكثر منه ليدل على عدم رضاه عما قاله عمر بن الخطاب ، وأحب أن يستكثر مما ذمه وعابه[44] وليدلل على ولعه بالغريب الوحشي أو الحُوْشي ، فقد ألّف في هذا الضرب من الكلام مؤلفاً سماه (الوحشيات) ، يقول فيه محققه : ((وإنما سماه أبو تمام (الوحشيات) ؛ لأن هذه المقاطيع أوابد وشوارد لا تُعرفُ عامةً وأغلبها للمقلين من الشعراء أو المغمورين منهم)) [45] .

فإذا كان الغريب الحُوْشي أو الغريب الوحشي – إذا كان بمعناه – من الفصيح ، وهو موجود في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وإذا كان العرب في زمن معين وفي بيئة مخصوصة يتداولونه سهلاً واضحاً ، وإذا كان بعض الأدباء يتذوقونه وينظمون به آثارهم ؛ فكيف عده البلاغيون والنقاد مخلاً بالفصاحة ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل نقول : إن البلاغيين والنقاد إنما قد فطنوا إلى الغرابة في الألفاظ التي تحول بين الأديب والمتلقي ، وتجعل الاستجابة عسيرة أو ممتنعة ، فنعوا على الأدباء استخدامهم للغريب الذي هو من هذا النوع وعدّوه مما يُخلُّ بفصاحة الكلام[46] ، وآخذوهم تارةً أخرى بتكلفه وادّعائه ، فالغرابة التي يتكلفها الأديب تكلفاً ويصطنعها اصطناعاً ويدعيها ، دون أن تكون من طبيعة الكلام المألوف ؛ هي المخلة بالفصاحة وما لم يكن كذلك فهو الفصيح عند أهله .

نقول هذا مستثنين اللغويين الذين احتفلوا بالغريب في كلام العرب[47] ، رغبةً في جمع اللغة وإقامةً للحجة اللغوية المسموعة عند العرب الأقحاح ، في تفسير القرآن وحديث النبي ﷺ ووصف ما نطق به العرب ورصده وبيانه .

ثالثاً : موقف البلاغيين والنقاد :

ربما كان موقف البلاغيين والنقاد من هذا النوع من الغريب ؛ بدافع ديني بلْهَ التواصل الذي يجب أن يتحقق بين الأديب والمتلقي الذي ينشد التواصل والفهم ، ولا يتنكب التفتيش والتنقير عن معاني المفردات ، فقد ورد عن النبي الأكرم (ص) أنه قال : ((أبغضكم إليَّ الثرثارون المتفيهقون))[48] ، وورد عنه أنه قال : ((من بدا جفا)) [49] ، وورد عن عمر بن الخطاب مدحه لزهير – وقد مرّ – بمجانبته حوشي الكلام .

ولا عجب في ذلك فحديث الرسول الكريم كان أمام الجاحظ وهو من أوائل البلاغيين والنقاد ، فقال : ((وأعلمَنا أن ذلك في أهل الوبر أكثر ، وفي أهل المدر أقل ، فإذا عاب المدري بأكثر مما عاب به الوبري ، فما ظنك بالمولد القروي ، والمتكلف البلدي ... فمن أسوأ حالاً – أبقاك الله – ممن يكون ألوم من المتشدقين ومن الثرثارين المتفيهقين وممن ذكره النبي (ص) نصاً ، جعل النهي عن مذهبه مفسراً ، وذكر مقته له ، وبغضه إيّـــاه)) [50] .

فمدار الأمر على التكلف ، وقد ذمَّ الرسول المتشدق الذي يلوي شدقه تكلفاً للفصاحة ، وتطاولاً على الناس ، والمتفيهق المتكبر الذي يعبر عن تكبره بأن يملأ فمه بالكلام توسعاً فيه[51] ، فإن كان ذلك مذموماً عند أهله فكيف إذا ادّعاه غيرهم وتكلفوه ؟ ((فمن أسوأ حالاً – أبقاك الله – ممن كان ألوم من المتشدقين ومن الثرثارين المتفيهقين)) فمن هنا تُعاب الغرابة واستعمال حوشي الكلام، فإذا وضعنا هذا التكلف والحُوْشيّة جنباً إلى جنب نكون قد وضعنا أيدينا على السر في كون الغرابة مستنكرة على الأدباء من لدن البلاغيين والنقـــاد .

وقد مرّ أن قدامة بن جعفر كان يحذر من استعمال الحوشي ، وهكذا مضى القاضي الجرجاني[52] ، والآمدي[53] ، ولم يتخلف أبو هلال العسكري عن هذا النهج فكان يذم الغريب – الحُوْشيّ أو ما يكون في معناه – ويوافق من يرى الاستعانة به عجزاً ، لما فيه من دلالة الاستكراه والتكلف ، ولأن التشادق من غير أهله نقص ، ويكاد ينقل آراء سابقيه وأمثلتهم[54] .

وكذا ابن سنان إذ وضع شروط فصاحة الكلمة ، قال : ((أن تكون كما قال أبو عثمان الجاحظ : غير متوعرة وحشية)) [55] ومثّل لها بكلمة (كهل) التي عاب الآمدي غرابتها [56] ، في قول أبي تمام[57] :

لقد طلعت في وجهِ مصر بوجهةٍ بلا طائرٍ سعدٍ ولا طائرٍ كهلِ

وقال : ((فإن كهلاً – ها هنا – من غريب اللغة ، وقد روى [الآمدي] أن الأصمعي لم يعرف هذه الكلمة ، وليست موجودة إلا في شعر بعض الهذليين ... وقيل : إن الكهل : الضخم، وكهل لفظة ليست بقبيحة التأليف ، لكنها غريبة)) [58] .

غير أن ابن الأثير يرى أن الألفاظ تنقسم على ثلاثة أقسام ، قسمان حسنان وثالث قبيح ، فأول الحسنين ما تداولته الألسن من الزمن القديم إلى زمن التلقي ولا يُطلق عليه أنه حُوْشيّ أو ما هو بمعنى الحُوْشيّ ، وثاني الحسنين ما كان دون الأول استعمالاً بأنْ استعملته العرب من قبلُ باطّراد في كلامها واستوحشه المتأخرون منهم ، وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة وهي التي يُطلق عليها (غريب القرآن) ، وكذلك تضمن الحديث النبوي شيئاً منها ، وهو الذي يُطلق عليه (غريب الحديث) [59] ، وهذان القسمان اللذان أشار إليهما ابن الأثير يتسمان بخفاء المعنى ، وغموض الدلالة فقط ، وذلك يعود إلى عدم حضوره في الاستعمال ، وجفاء المتكلمين له ومنهم الأدباء[60] .

أما القسم الثالث فقد سمّاه (الغريب القبيح) أو (الغريب الوحشي الغليظ) وقد ذكر أن الأذواق تمجُّهُ ، لأنه ثقيلٌ على السمع ، كريهٌ على النفس[61] ، ثم عقّب قائلاً : إن العرب ((لا تُلام على استعمال الغريب الحسن من الألفاظ ، وإنما تلام على الغريب القبيح ، وأما الحضري فإنه يُلام على استعمال القسمين معاً ، وهو في أحدهما أشدُّ ملامةً من الآخر)) [62] .

وقد ظن بعض الدارسين أن ابن الأثير ينفرد برأي بشأن الغريب ، لم يسبق إليه سابق[63] ، قال: إن ((الغريب الحسن يسوغ استعماله في الشعر ولا يسوغ في الخطب والمكاتبات)) [64] وكأنه أحسّ بأن هذا الرأي موضع إنكارٍ فبادر إلى القول : ((وهذا ينكره من يسمعه حتى ينتهي إلى ما أوردته من الأمثلة ، ولربما أنكره بعد ذلك أما عناداً ، وأما جهلاً لعدم الذوق السليم عنده))[65] .

فابن الأثير حينما يسوّغ استعمال الغريب – والحُوْشيّ منه – كأنه يؤمن بأن الشعر غير النثر، فالنثر وظيفته الإفهام ونقل المعاني ، أما الشعر فإنه يسعى إلى التأثير والإيحاء ، ويشايعه على هذا الرأي بعض المحدثين من النقاد الباحثين[66] ، فالشعر لا يتم له ذلك التأثير والإيحاء إلا إذا كانت ألفاظه طريفة غير متداولة لم تلُكْها الألسن ، فإن لم تكن ألفاظه كذلك فَقَدَ الإيحاء والتأثير ، وصار إلى الابتذال أقرب منه إلى الإثارة[67].

ولكن هذا الرأي الذي يُظن أن ابن الأثير تفرد وندّ به وشايعه عليه بعض المحدثين ، غير مستنكر على الشاعر ، فلغة الشعر غير لغة النثر ، ومناط إنكار المتقدمين أن يؤتى باللفظ الغريب الحُوْشيّ تكلفاً وادعاءً ،أو أن يكون ذلك اللفظ الذي على هذه الصفة وليد حاجة شكلية إيقاعية تدعو إليه إقامةً للوزن أو القافية ، ولا يفوتنا أن نذكر أن الآمدي من قبلُ أجاز للشاعر الحضري أن يصطنع الغريب قصداً في التوسيع عليه في مجال اللغة ، ليتلافى ما يعترضه من صعوبات إيقاعية ، وقصداً للإثراء اللغوي[68] ، وهذا يوضح أن الآمدي – ظاهراً – أسبق دعوةً لاستعمال الغريب من ابن الأثير لكن الأمر مختلف عند ابن الأثير ، فهو – كمن تقدمه – لا يدعو إلى التكلف في استعمال الغريب أو ادعائه ، أو لأجل ضرورة الوزن والقافية وجملة القول أن الآمدي دعا إلى استعمال الغريب لغرضٍ ثقافي ، أو اضطراري ، أما ابن الأثير فقد دعا إليه لأن لغة الشعر ووظيفته غير لغة النثر ووظيفته ، ولأن للشعر نمطاً من التعبير لا يلجأ فيه إلى استعمال الغريب فيه ادعاءً وتكلفاً أو اضطراراً ملحاً ، إنما الغريب فيه يعبر عن تجارب وخواطر لايصلح لها المألوف .

ولم يجاوز الفخر الرازي ما ذكره السابقون عليه[69] ، وكذا السكاكي[70] غير أن القزويني رأى أن غرابة الكلمة وحوشيتها تتأتيان من جهتين[71] :

إحداهما : خفاء المعنى ، فيُحتاج في معرفتها إلى الاستعانة بالمظان المبسوطة ، وهو هنا لا يختلف عن السابقين عليه ، ويشير إلى الغرابة بصورة عامة ، سواء أ كان اللفظ حوشياً أو وحشياً أو شاذاً ، أو نحو ذلك.

الأخرى : أن تكون الكلمة قليلة الاستعمال في معنى محدد ، وهو ما يدعوه بعض الباحثين بـــ (استعمال الكلمة في نطاق ضيق) ، وقد عُزي ذلك إلى الانقطاع الجغرافي الذي تعيشه بعض اللهجات ، وإلى كون بعض الألفاظ مما يُعدُّ من (خاص الخاص) ، كأدوات الحِرفيين ، والاصطلاحات الخاصة[72] ، وهذا الشيء لم ينص عليه المتقدمون بصراحة ووضوح .

والقزويني – هنا – يقف على أسباب الغرابة ، ولم يتخلف عما ذكره البلاغيون من قبله ، ولسنا نُغفل ما ذكرناه تواً عما سمح به الآمدي ودعا إليه ، وما قدمه ابن الأثير الذي بدا أنه لم يأتِ بشيءٍ يُنكر عليه شريطة ألّا يكون اللفظ الغريب الحوشي أو ما كان في معناه متكلفاً مصطنعاً ، بل ليُعبر عن تجارب وخواطر لها ظلال وإيحاءات لا يؤديها المألوف من الألفاظ ، وقد درج على ذلك البلاغيون اللاحقون[73] .

ونسبية الغرابة التي يؤديها اللفظ الحُوْشيّ أو ما كان في معناه أدت ببعض المحدثين إلى معاودة النظر في الألفاظ التي عدها البلاغيون غريبة على أيٍّ مستوى من مستويات اللغة ، فآخذهم بـــ ((إطلاقهم الحكم ، وعدم الإدراك لقانون التطور اللغوي)) [74] ، غير أن إدراك البلاغيين أسباب الغرابة وتقييدها بأزمانها وبيئاتها يدفع ذلك ، إذ لم تكن الغرابة صفة في اللفظ في كل زمان ومكان كي يُتهموا بإطلاق الأحكام ، ولقد كانوا حريصين كل الحرص على التواصل بين المبدع والمتلقي ، وحريصين على تأمين هذا التواصل ، ولاغضاضة في تعدد الوجوه في معنى لفظ من الألفاظ ، وذهبت العقول فيه أيَّ مذهب ، شريطة إلا تُستغلق الأفهام في لفظ بعيدٍ مجفو .

الخاتمة :

حُوْشيّ الكلام ضربٌ من اللفظ الغريب ، أكثر ما ارتبط واختلط بـــ (الوحشي) من الكلام، وذلك لتقارب معناهما واشتراكهما في مجال دلالي واحد ، إذ إنهما يشتركان في كونهما وصفين يُطلقان على الألفاظ المجفوة المتوعرة التي طواها الزمن والهجران ، بعد أن كانت ألفاظاً حيّة مستعملة غير مجفوة تتداولها بعض القبائل ، ولربما تتداولها العرب عامة ، وإنهما يفترقان من قِبل أن (الحُوْشيّ) لا يكون إلا على الوصف المتقدم ، أما (الوحشي) فقد يكون على ذلك الوصف، أو قد يكن لفظاً رائقاً مأنوساً في موضع من الكلام ، وموحشاً غير مأنوسٍ في موضع آخر .

وأمرُ اشتراكهما في هذا المجال الدلالي هو الذي جعل نفراً من اللغويين يعدُّ (الحُوْشيّ) مقلوب (الوحشي) من جهةٍ ، ومن جهةٍ أخرى دعا هذا الاشتراك الكثير من المتقدمين إلى أن يُطلقهما على جملة من الألفاظ الغريبة على نحو التعاور والتقارض إلى حد القول بترادفهما .

ولقد احتفى اللغويون بالغريب بمختلف ضروبه ، حوشياً كان أو غير وحشي ، وهذه هي مَهمتهم ، أما البلاغيون والنقاد فقد جعلوه بإزاء الفصيح من الكلام ، وقد فطنوا إلى الغرابة في الألفاظ التي تحول بين الأديب والمتلقي ، وتجعل الاستجابة والاستثارة ممتنعتين ، وأنكروا على الأدباء استعمال هذا النوع من الغريب تكلفاً وادعاءً دون أن يكون ذلك الغريب من طبيعة الكلام المألوف .

الهوامش

[1]) لسان العرب : ابن منظور : 6 / 441 .

2) معجم مقاييس اللغة : ابن فارس : 2 / 119 .

3) ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي : 1 / 476– 480 .

4) ينظر : العين : الخليل : 3 / 261 ، اللسان : 6 / 348 .

5) ينظر : اللسان : 6 / 348 .

6) ينظر : ديوان رؤبة بن العجاج : 78 .

7) ينظر : أساس البلاغة : الزمخشري : 1 / 222 .

8) ينظر : المصدر نفسه .

[9]) ينظر : المصدر نفسه .

10) ينظر : اللسان : 6 / 348 .

11) معجم مقاييس اللغة : 2 / 119 .

12) اللسان : 6 / 348 .

13) النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير : 3 / 259 .

14) ينظر : معجم مقاييس اللغة : 2 / 119، شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد : 2 / 82 .

15) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : 1 / 460 ، اللسان : 6 / 348 .

16) ينظر : النهاية في غريب الحديث والأثر : 3 / 259 .

17) ينظر : المزهر في علوم اللغة وأنواعها : السيوطي : 1 / 209– 210 .

18) ينظر : المصدر نفسه : 1 / 234 .

19) نقد الشعر : قدامة بن جعفر : 172 ، وينظر : الموشح : المرزباني : 437 .

20) الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : الآمدي : 293 .

21) ينظر : في شعاب العربية : إبراهيم السامرائي : 163 .

22) ينظر : المنتخب من غريب كلام العرب : كُراع النمل : 1 / 240 ، المحكم والمحيط الأعظم : ابن سيده : 2 / 506– 507 .

23) وقد مرّ بيان ذلك .

24) دلائل الإعجاز : 46 – 47 .
25) البيت للصمة بن عبد الله القشيري في : شرح ديوان حماسة أبي تمام : التبريـزي : 3 / 199. والليـت : صفحة العنق ، والأخدع : عرق في العنق .
26) ديوان البحتري : 2 / 1241 .
27) ديوان أبي تمام : 2 / 405 .
28) ينظر : دلائل الإعجاز : 47 .
29) المزهر : 1 / 233 .
30) القاموس المحيط : الفيروز ابادي : 4 .
31) ينظر : المزهر : 1 / 233 – 234 .
32) حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث : د . محمد ضاري حمادي : 195 .
33) ينظر : كتاب الصناعتين : أبو هلال العسكري : 9 .
34) ينظر : البيان والتبيين : الجاحظ : 1 / 378 .
35) ينظر : إعجاز القرآن : الباقلاني : 678 .
36) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : الثعالبي : 71 – 72 .
37) ينظر : الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي الجرجاني : 19 .
38) البيان والتبيين : 1 / 144 .
39) المصدر نفسه .
40) الموازنة : 1 / 284 .
41) المصدر نفسه .
42) نقد الشعر : 172 .
43) البيان والتبيين : 1 / 378 .
44) الموازنة : 1 / 25 .
45) ينظر : المصدر نفسه : 1 / 293 .
46) كتاب الوحشيات : أبو تمام الطائي : مقدمة المحقق : 6 .
47) ينظر : النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري : د. نعمه رحيم العزاوي : 212 .
48) ينظر : الموازنة : 1 / 286 .
49) سنن الترمذي : 6 / 223 .
50) مسند أحمد : 2 / 371 .
51) البيان والتبيين : 1 / 13 – 14 .
52) ينظر : اللسان : 10 / 207 – 208 .
53) ينظر : الوساطة : 17 .
54) ينظر : الموازنة : 1 / 286 .
55) ينظر : الصناعتين : 9 .
56) سر الفصاحة : 70 ، ينظر : البيان والتبيين : 1 / 144 .
57) ينظر : الموازنة : 1 / 284 .

58) ديوان أبي تمام : 3 / 307 .
59) سر الفصاحة : 70 – 71 .
60) ينظر : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ابن الأثير : 1 / 155 – 156 .
61) ينظر : النقد اللغوي عند العرب : 218 .
62) ينظر : المثل السائر : 1 / 155 – 156 .
63) المصدر نفسه : 1 / 165 .
64) ينظر : النقد اللغوي عند العرب : 221 .
65) المثل السائر : 1 / 165 .
66) المصدر نفسه .
67) ينظر : النقد اللغوي عند العرب : 221 – 222 .
68) ينظر : المصدر نفسه .
69) ينظر : الموازنة : 1 / 443 – 444 .
70) ينظر : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : الفخر الرازي : 35 .
71) ينظر : مفتاح العلوم : السكاكي : 196 .
72) ينظر : الإيضاح : القزويني : 1 / 3 .
73) ينظر : أسباب غرابة الكلمة : أ.د. صباح السالم ، وعبد الكريم حسين عبد السعداوي (بحث منشور في مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، المجلد (8) ، العدد (1) لسنة 2003م) : 15 .
74) ينظر على سبيل المثال : عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : السُّبكي : 1 / 83 ، حاشية الدسوقي على شرح السعد : 1 / 83 .
75) التعبير البياني : شفيع السيِّد : 7 .

ثبت المصادر والمراجع :

1- الكتب :

* أساس البلاغة : أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري (ت : 538هـ) ، تحـ: محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
* إعجاز القرآن : أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : (ت : 404هـ) ، تحـ : أحمد صقر، دار المعارف ، مصر ، 1374هـ .
* الإيضاح في علوم البلاغة : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني (ت : 739هـ) : تحـ لجنة من أساتذة الجامع الأزهر ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة . د. ت .
* البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت : 255هـ) تحـ : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1948م .
* التعبير البياني : شفيع السيد ، ط1 ، مكتبة الشباب ، القاهرة ، 1977م .
* حاشية الدسوقي على شرح السعد : محمد بن عرفة الدسوقي (ت : 1230هـ) ضمن (شروح التلخيص) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركائه ، القاهرة ، 1947م .

* حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث : د. محمد ضاري حمادي ، دار الرشيد ، بغداد ، 1980م .
* دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني (471 أو 474 هـ) : عناية : محمود محمد شاكر ، ط3 ، دار المدني ، جدة ، 1992م .
* ديوان رؤبة ، دار الآفاق الجديدة ، ط1 ، بيروت ، د.ت .
* ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي ؛ تحـ : محمد عبده عزّام ، ط4 ، دار المعارف ، مصر، د.ت.
* ديوان البحتري ؛ تحـ : حسن كامل الصيرفي ، ط3 ، دار المعارف ، مصر ، د.ت .
* سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي (ت : 466هـ) ، ط21 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د.ت.
* سنن الترمذي : أبو عيسى محمد ابن عيسى الترمذي (ت : 279هـ) ، تحـ : عزت الدعاس ، ط1 ، مطابع الفجر ، حمص ، 1968م .
* شرح حماسة أبي تمام : الأعلم الشنتمري ، تحـ : علي المفضل حمودان ، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، ط1 ، دبي ، 1992م .
* شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد المعتزلي (ت : 656هـ) تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط2 ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر ، 1937م .
* الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها : أحمد بن فارس (ت : 395هـ) ، تحـ : مصطفى الشويمي ، ط1 ، مؤسسة بدران ، بيروت ، 1963م.
* عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح : بهاء الدين السُّبكي (ت: 773هـ) (ضمن شروح التلخيص) مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، 1937م .
* العين : الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت : 175هـ) تحـ: د. مهدي المخزومي ، د. إبراهيم السامرائي ، دار الرشيد ، 1980م .
* في شعاب العربية : د. إبراهيم السامرائي ، ط1 ، دار الفكر المعاصر ، ودار الفكر ، بيروت، 1990م .
* القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت : 816هـ) ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط1 ، مصر ، 1952م.
* كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر : أبو هلال العسكري (توفي أوائل القرن الخامس الهجري) ، تحـ : محمد علي البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط1 ، المكتبة العصرية ، بيروت ، 2006م .

* كتاب الوحشيات (الحماسة الصغرى) : أبو تمام حبيب بن أوس الطائي ، تحـ : عبد العزيز الميمني ، ط3 ، دار المعارف ، مصر ، 1984م .
* لسان العرب : جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور (ت : 711هـ) ، تحـ : عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، 2003م .
* المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر : ضياء الدين نصر الله بن محمد بن مكرم (ت : 637هـ) تحـ : أحمد الحوفي ، وبدوي طبانة ، ط1 ، مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، 1959م .
* المحكم والمحيط الأعظم : أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت : 458هـ) تحـ د. عبد الحميد هنداوي ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2000م .
* المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي (ت : 911هـ) تحـ : محمد جاد المولى وآخرين ، ط3 ، دار التراث ، د.ت .
* مسند الإمام أحمد : أحمد بن محمد بن حنبل (ت: 231هـ) ، تحـ : احمد محمد شاكر ، ط1، دار المعارف ، د.ت .
* معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت : 395هـ) ، تحـ : عبد السلام محمد هارون ، ط1 ، دار الفكر ، بيروت ، د.ت .
* مفتاح العلوم : يوسف بن أبي بكر السكاكي (ت : 626هـ) ، ط1 ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، 1937م .
* المنتخب من غريب كلام العرب : أبو الحسن علي بن الحسن المعروف بـ (كراع النمل) (ت: 310هـ) ، تحـ : د. محمد بن أحمد العمري ، ط1 ، جامعة أم القرى ، 1989م .
* الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري : أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت: 370هـ) ، تحـ: أحمد الصقر ، ط4 ، دار المعارف ، د.ت .
* الموشح : أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني (ت: 384هـ) ، تحـ : محمد علي البجاوي ، ط1 ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، 1965م .
* نقد الشعر : أبو الفرج قدامة بن جعفر (ت: 377هـ) ، تحـ : كمال مصطفى ، ط1 ، مطبعة الخابجي ، مصر ، 1948م .
* النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري : د. نعمة رحيم العزاوي ، ط1 ، دار الحرية ، بغداد ، 1978م .
* نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز : الفخر الرازي (ت: 606هـ) ، ط1 ، مطبعة الآداب والمؤيد، القاهرة، 1317هـ .

* النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين أبو السعادات المبارك بن مجد الجـزري بـن الأثير (ت: 606هـ) ، تحـ : طاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطنـاحي ، ط1 ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، 1963م .
* الوساطة بين المتنبي وخصومه : القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت: 366هـ) ، تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، و محمد علـي البجـاوي ، ط1 ، المكتبـة العصـرية ، بيروت، 2006م.

2ـ المجـلات :

- أسباب غرابة الكلمة : د. صباح عباس السالم ، وعبد الكريم حسين عبد السعداوي ، بحـث منشور في مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية ، المجلد (8) ، العدد (1) ، لسنة 2003م.

Abstract :

This research tried to explain the unfrequented and the strange words (al-hooshiy) and its reality at specialists , that’s term which is mixed and Confused with another terms from these kind of terms -which ones- and a lot of times the Linguists, the rhetoricals and the critics say that (al-hooshiy) meaning is (al-wahshiy "beastly"),so that (al-hooshiy) sometime means (al-wahshiy "beastly") and another time means the strange word that make Defect in the speech , or it's the Complex ,or the far word of eloquence , and i need in the eloquent word meaning 'which word that Destine to its to be popular on tongues ' ,(Al-hooshiy) could means (atypical),(the rare)and(the little).

This research stop to explain (al-hooshiy) meaning at the linguists ,the rhetoricals and the critics' views , but on a lot the rhetoricals and critics' views and detect its reality , because they have more right to do that from the linguists which were their worries to found and count it, because it give them a big linguistic treasure that help them to explain a lot of Arab language, and perhaps they almost look for it more than count it ,because they want be famous in this kind of knowledge .